ترجمة الإمام "مسلم" والتعريف بصحيحه (٢)

مادة حديث عام (٢)

أ. / خالد مصطفى عبد القادر
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم – ماليزيا
waleed.eltantawy@mediu.edu.my

خلاصة—هذا البحث يبحث في أهم مؤلفات الإمام مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم)، والرد على زعم الإمام الحاكم أنه استدرك على مسلم.

الكلمات المفتاحية: أصح كتابين بعد كتاب الله، إفراد الأحاديث بالتأليف، حديث الصحابي المشهور

I. المقدمة

البحث عن معرفة أن صحيح مسلم يعتبر أحد الكتابين الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول واعتبرتهما أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل، وكان أهم دافع دفع الإمام البخاري إلى تأليف كتابه هو نفسه الذي دفع الإمام مسلمًا إلى وضع صحيحه، وهو أنه كان من الواجب على أئمة الحديث في القرن الثالث الهجري إفراد الأحاديث بالتأليف.

II. موضوع المقالة

أهم مؤلفات الإمام مسلم (صحيح مسلم):
يعتبر صحيح مسلم أحد الكتابين الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول واعتبرتهما أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل، وكان أهم دافع دفع الإمام البخاري إلى تأليف كتابه هو نفسه الذي دفع الإمام مسلمًا إلى وضع صحيحه، وهو أنه كان من الواجب على أئمة الحديث في القرن الثالث الهجري إفراد الأحاديث بالتأليف، بعد أن اختلط بغيرها في كتب الحديث على صورة يصعب معها على العامة تمييز هذا من ذاك، وذلك بعد أن كثرت الأسانيد، وتعددت الروايات، وكثر الرواة، بحيث يتعذر التمييز بين العدول والمجروحين منهم، وقد طلب منه بعض الناس ذلك، كما طلب بعضهم من البخاري وغيره، في مجلس إسحاق بن راهويه حينما أشار على جلسائه بذلك، وفهم البخاري هذا فألَّف كتابه، وكذلك الإمام مسلم، فظروف عصرهما هي التي تطلبت مثل هذا النوع من التأليف.
ويقول الإمام مسلم مبينًا شيئًا من ذلك في مقدمة الصحيح:
"أما بعد، فإنك -يرحمك الله بتوفيق خالقك- ذكرت أنك هممت بالفحص عن تعرف جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالأسانيد التي نقلت وتداولها أهل العلم فيما بينهم، فأردت -أرشدك الله- أن توقف على جملتها مؤلفة محصاة، وسألتني أن ألخصها لك في التأليف بلا تكرار يكثر، فلولا الذي رأينا من سوء صنيع كثير ممن نصّب نفسه محدثًا، فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة، والروايات المنكرة، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة، فيما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة، أي: لولا ذلك لما سهل علينا الانتصاب لما سألت من التمييز والتحصيل، ولكن من أجل ما أعلمناك من نشر القوم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضعاف المجهولة، وقذفهم بها إلى العوام الذين لا يعرفون عيوبها، خف على قلوبنا إجابتك إلى ما سألت".
ويرى مسلم أن هذا هو الواجب عليه، وعلى أمثاله الذين عرَفوا التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، ومن الواجب على كل منهم ألا يروي من الأحاديث إلا ما عرف صحة مخرجه، وترك أحاديث أهل التهم والمعاندين من أهل البدع.
- الرد على ما زعمه الحاكم مع ذكر أمثله:
قد تناول الدارسون كتاب مسلم كما تناولوا كتاب البخاري؛ كي يستنبطوا شروطه التي على أساسها اختار أحاديث صحيحه، وقد ذكر الحاكم أن مسلمًا يشترط كما اشترط البخاري ألا يخرج إلا حديث الصحابي المشهور الذي له اثنان فأكثر من الرواة الذين نقلوا حديثه، ورد عليه ابن طاهر المقدسي والحازمي، وأثبتا خطأ دعواه هذه، وذكر بعض الأحاديث الموجودة في الكتابين، وليس لكل راوٍ من الصحابة إلا راوٍ واحد من التابعين.
ومن هذه الأحاديث حديث الصحابي عدي بن عميرة الكندي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد روى الإمام مسلم هذا الحديث في كتاب الإمارة في باب: تحريم هدايا العمال، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا وكيع بن الجراح، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عدي بن عميرة الكندي قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **((**من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطًا فما فوقه، كان غلولًا يأتي به يوم القيامة، قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه، فقال: يا رسول الله، اقْبَل عني عملك، قال: وما لك؟! قال: سمعتك تقول كذا وكذا، قال: وأنا أقول: من استعملناه منكم على عمل، فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أَخَذ، وما نُهي عنه انتهى**))**.
وأخرج هذا الحديث ولم يروه عن الصحابي المذكور إلا قيس بن أبي حازم.
وأخرج مسلم للصحابي أبي عبد الله طارق بن أَشْيَم حديثين:
أحدهما: ما رواه في كتاب الإيمان في باب: الأحكام التي تجري على الظواهر والله يتولى السرائر، قال: حدثنا سويد بن سعيد وابن أبي عمر قالا: حدثنا مروان -يعنيان الفزاري- عن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: ((من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعْبد من دون الله؛ حَرُم ماله ودمه، وحسابه على الله**))**.
فأبو مالك قد انفرد عن أبيه بهذه الرواية، وأبو مالك اسمه سعد بن طارق، ونلحظ أن الإمام مسلمًا -رحمه الله- حدَّث هذا الحديث عن شيخه سويد بن سعيد، وقد ضُعِّف سويدٌ، ولكن إذا كان مسلم قد أخذ من أحاديث هذا الشيخ، فهي الأحاديث التي أتقنها أولًا، ولكن أيضًا جعل هذا الشيخ مقرونًا بثقة، وهو ابن أبي عمر فقال: حدثنا سويد وابن أبي عمر، فهذه المتابعة من ابن أبي عمر وهو ثقة، تقوي سويدًا وتقوي حديثه.
والحديث الثاني الذي رواه مسلم عن طارق هو حديث ذكره مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، قال: حدثنا أبو كامل الجحدري، قال: حدثنا عبد الواحد يعني: ابن زياد، قال: حدثنا أبو مالك الأشجعي، عن أبيه قال: ((كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُعلِّم مَن أسلم يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني**))**.

وقال: حدثنا سعيد بن أزهر الواسطي، قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبيه قال: ((كان الرجل إذا أسلم علمه النبي - صلى الله عليه وسلم- الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني)).

ثم قال مسلم: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا أبو مالك عن أبيه، أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- أتاه رجل فقال: يا رسول الله، كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: **((**قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني**))، فهذه روايات للحديث الواحد جمعها مسلم في مكان واحد، كما سيتبين لنا من منهجه -عليه رحمة الله تعالى.**

هذا، وإذا كان الحاكم قد ادَّعى أن المستورد بن شداد الفهري، لم يرو عنه غير قيس بن أبي حازم؛ ولهذا لم يخرج له البخاري ومسلم، فإن الحقيقة أن مسلمًا خرَّج له حديثين؛ أحدهما: رواه عنه قيس بن أبي حازم قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: **((**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار بالسبابة- في اليم، فلينظر بم ترجع؟**)).**

قال الإمام مسلم في أسانيده لهذا الحديث: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، ثم حوَّل الإسناد وقال: وحدثنا ابن نمير، حدثنا أبي ومحمد بن بشر، ثم حول الإسناد وقال: وحدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا موسى بن أعين، ثم حول الإسناد فقال: وحدثني محمد بن رافع قال: حدثنا أبو أسامة كلهم عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: وحدثني، ثم حول الإسناد قال: وحدثني محمد بن حاتم واللفظ له قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثنا قيسٌ قال: سمعت مستوردًا أخا بني فهر يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر الحديث.

قال الإمام مسلم: وفي حديثهم جميعًا غير يحيى، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول ذلك، وفي حديث أبي أسامة عن المستورد بن شداد أخي بني فهر، وفي حديثه أيضًا قال: وأشار إسماعيل بالإبهام، أي: ليس بالسبابة، رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة، في باب: فناء الدنيا. هذا أول الحديثين.

أما الحديث الثاني، فقد رواه عنه علي بن أبي رباح وهو: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: **((**تقوم الساعة، والروم أكثر الناس**))، رواه الإمام مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، قال: حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث، قال: حدثني عبد الله بن وهب، قال: أخبرني الليث بن سعد قال: حدثني موسى بن علي عن أبيه قال: قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس)) فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا فقد روى الحديث الأول قيس بن أبي حازم، وروى الحديث الثاني علي بن رباح، وهذا غير ما قاله الحاكم.**

قال الذهبي: وخرج مسلم لقطبة بن مالك وما حدث عنه سوى زياد بن علاقة، وخرج مسلم لطارق بن أشيم، وما روى عنه سوى ولده أبي مالك الأشجعي، وخرج لنبيشة الخير، وما روى عنه إلا أبو المليح الهزلي، قال الذهبي: ذكرنا هؤلاء نقضًا على ما ادعاه الحاكم من أن الشيخين ما خرجا إلا لمن روى عنه اثنان فصاعدًا.

ويقول الحاكم في المستورد مثلًا الذي ثبت أن له راويين فأكثر، رويا له حديثين عند مسلم: روى عنه غير واحد من المصريين والشاميين، وإذا كان للبخاري فضل البدء على ما نعلم في اختيار الأحاديث الصحيحة المسندة، وتدوينها في صحيحه، وإبعاد غيرها عنه، فإن الإمام مسلمًا كان له الفضل من نواحٍ أخرى، وقد تميز عن أستاذه في اختيار بعض الشروط، وترك بعضها الآخر، وفي ترتيب كتابه، فجاء على صورة لا يستغنى عنها بصحيح البخاري، ويبدو هذا من دراستنا للشروط التي خالف مسلم أستاذه البخاري فيها، ومن تعرفنا على خطته في ترتيب صحيحه.

المراجع والمصادر

١. الإمام مسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) -تذكرة الحفاظ. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

٣. ابن أبي يعلى أبو الحسين محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ) طبقات الحنابلة. المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

٤. أبو زكريا النووي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

٥. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

٦. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

٧. أبو عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) المدخل إلى الصحيح، المحقق: د. ربيع هادي عمير المدخلي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤

٨. -السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى ٩١١هـ تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: ط دار الكتاب العربي تحقيق أحمد عمر هاشم ـ ١٤٠٩هـ